# دفاع امرأة عن النساء

## من الرجال

## (٣)

### روابط الزواج

اذا صحّ ما قلت سابقاً وهو ان الرجل احسن ما يكون وهو على الفطرة وان المرأة احسن ما تكون وهي على الحضارة ذاتِ نظام هو الافضل لارتباطهما في الزواج. واذا قسمناها الى قسمين الفطري والمتمدن كان لنا اربعة اوجه لارتباطهما:

(١) رجل فطري يتزوج امرأة فطرية — نرى على الغالب ان زواجاً مثل هذا يجيء على تمام المرام اذا نظر فيه الى شخصيهما. فان بيتهما يكون نموذجاً من الكهف القديم مكيفاً على مقتضيات العصر — يخرج الرجل الى عمله وتبقى المرأة في بيتها قانعة راضية. والمرجح بعد مضيّ اربعة اشهر ان الرجل لا يبقى كلفاً بزوجته. ولكن اذا كان طيباً عاملها معاملة صديق وجعل يمازحها مزاحاً قد لا يطيب به قلبها في الباطن. واذا كان خبيثاً شتأها واهملها. والمرجح انها تكون سعيدة في الحالين لان الزواج وحده كافٍ لان يحمل المرأة الفطرية على الرضى والقناعة

(٢) رجل مهذب وامرأة فطرية — هذا الزواج مثل سابقه تقريباً اي ان الزوج والزوجة فيه يحصلان على مثل القناعة التي يحصل عليها الرجل الفطري والمرأة الفطرية اذا تزوجا. ويلاحظ ان اصحاب العقول يختارون على الدوام تقريباً زوجات فطريات لهم وبذلك يخلو الجوّ للزوج فيفرض القوانين التي يشاؤها غير منازع ولا يشعر بشيء من العداء الجنسي نحو زوجته التي تحبهُ حباً يقرب من العبادة وتحسب انها افضل نصيب ولا تسأل الاّ ان يسمح لها بحرق البخور دواماً على مذبح عظمته. وقد يعاملها معاملة فظة ولكنها لا تتمنى قط ان تكون عزباء. والمرأة الفطرية تحسب كون زوجها رجلاً افضل الصفات في عينها ولكن شتان بين الرجل والرجولية الحقيقة. فقد يكون الزوج رجلاً ولا يكون ذا رجولة كما تكون المرأة انثى ولا تكون ذات ظرف ولطف. واهمّ ما يهم المرأة الفطرية

القوة حتى القوة البدنية فهي تحب الرجل الذي يجعل نفسهُ سيدها وتحتهن الرجل الغيري الحليم . اما هو فيعاملها كما يشاء وكلما شعرت بقوتهِ لبّت نداءهُ وسرّي عنها لان ذلك يلائم فطرتها

(٣) رجل مهذب وامرأة مهذبة — قلما يجتمعان اذ قلما يختار احدهما الآخر . واذا اجتمعا فيندر ان يعيشا على وئام مدة طويلة ذلك لان الرجل ينفر منها لانها مناظرة لهُ في حلبة العقل والفكر وهي من جهتها تفقد السكينة العقلية التي تطلبها ترياقاً لخيالها المتقلب والتي يقدمها الرجل لها . ثم ان الجهاز العصبي في كليهما متهيج الى اقصى ما يمكن بحيث يحول ذلك دون تعاونهما على العمل . ويكفي شاهداً على صحة هذا القول الفيلسوف كارليل وزوجتهُ . اما اليصابات برونتغ وزوجها فنادران لا يقاس عليهما (١)

(٤) رجل فطري وامرأة مهذبة — زواج مثل هذا هو في اعتقادي المثل الاعلى لانواع الزواج فانهُ لا جاذبية اقوى مما بين رجل يمثل افضل صنوف الرجل الفطري وامرأة تمثل افضل صنوف المرأة المهذبة اذ لا مجال بينهما للمنافسة او العداء الجنسي . فان الرجل المنهمك بالاعمال الفطرية العظيمة مثل الحرب وركوب البحار وتجشم الاسفار والصيد والقنص وما اشبه ذلك يجد في عشرة المرأة المهذبة ملطفاً للوسط الذي يعيش فيهِ ينبّه قواهُ ويكنها في وقت معاً مما لا يجد مثلهُ في عشرة المرأة الفطرية . وهو في غنى عن البخور الذي يحسبهُ الرجل المهذب نفساً من انفاس حياتهِ لان الرجل الفطري اذا كان نموذج صنفهِ فهو خلوٌ من جنون العظمة الذي يتصف بهِ اهل العقول الكبيرة . فهو يعمل العظائم ولكنهُ لا يشاء ان يتحدث عنها فيما بعدُ لان كرم خلقهِ وبساطة عقلهِ يميلان بهِ عن التفكير في اعمالهِ العظيمة . واذا كان لا يحسن الكلام فهو حسن الاصغاء

هذا هو الرجل الذي تميل اليهِ المرأة المهذبة وهي تعجب برجولتهِ اي لطفهِ المقرون بقوتهِ . وافضل النساء لا تختار زوجاً لها رجلاً من اصحاب الادمغة الذين ينشئون المجلدات الضخمة في الفلسفة العقلية وتحاليلها . ولا تريد الصبي الذي تحول اصابعهُ البيضاء على مفاتيح البيانو . ولا الشاب الذي يقابل الوان الملابس بعضها ببعض ليرى ما يلائم وما لا يلائم وغير ذلك من الاعمال التي تعملها هي في

(١) شاعرة انجليزية مشهورة وزوجة شاعر مشهور هو روبرت برونتغ

حالتها الفطرية. ولا تريد رجلاً يقلدها في عملها وانما تريد الرجل كما صنعتهُ الطبيعة اي ولداً كبيراً رقيق الجانب يركب ويصطاد ويساوي اقرانهُ ويحبُّ حديقتهُ او فرسهُ او اتوموبيلهُ او دكانهُ . تحبُّ الرجل الذي هو اعرف منها بمعاملة الاعيان والذي يترك لها دائرة المعاني تتصرف فيها على هواها

ثم ان المرأة المهذبة هي الفائزة ولو لم تكن زوجة شرعية . ولا ريب في انها مضطرة الى استخدام قوة الجنس فيها لتأييد سلطانها — تلك القوة التي تمكنت بها في جميع ادوار التاريخ من استجهال الحكماء واستعباد الملوك والاقيال والتحكم في مصير الامم . ولكن قوة الجنس لا تكفيها للاحتفاظ بسيادتها فانها تسحر الالباب بادىء بدء وتتسلط على القلوب بهذه القوة ثم تحافظ على سيادتها بقوة عقلها . ومهما يكن من قدرة جمالها على اقتناص قلوب الرجال فان هذا الجمال قلما يمكنها من استبقاء اسراها رُكَّعاً امامها لان من طبع الرجل اذا قضى لبانتهُ من شيء ان يبيت وهو لا يبالي به بل ربما تحوَّل كلفهُ الاول به كرهاً وازدراء فلا يحتكم في قلوب الرجال ولا يملك قيادهم الاَّ امرأة ذات عقل كبير او ذات ادب رائع

وكل امرأة في التاريخ ملكت قلوب الرجال كانت امرأة سامية العقل او رفيعة الذوق لا امرأة فطرية . فقد كان هنري الثاني ( احد ملوك فرنسا ) يعشق ديان دي بواكتيير ولها من العمر ٥٩ سنة وذلك لما كانت عليه من سمو العقل . وكانت نينون دي لنكلوس تستعبد الرجال وهي ابنة سبعين سنة وبلغ من عظم ادبها ان نساء عصرها سحرن بها وارسلن بناتهن اليها ليقتبسن الادب عنها . وبقيت مدام بمبادور متسلطة على لويس الخامس عشر بقوة عقلها مدة طويلة بعد زوال محاسنها الطبيعية . وكانت اللادي هملتن ( خليلة نلسن ) على جانب عظيم من حسن الذوق ولولم تكن سامية العقل . وكانت سميراميس نابغة في الادارة . وسحرت كليوبطرة انطونيوس بذكائها واستعبدت اسباسيا بركليس بقوة جنانها

ولا يزال ذلك كذلك حتى الآن وان يكن على درجة اقل مما كان — اي ان المرأة التي يطول عهد تسلطها على قلوب الرجال انما هي المرأة التي تجمع بين قوة الجنس وقوة العقل في حين ان اللواتي يستهدفن لهوى الرجل فقط ينقلب غرامهُ بهنَّ غلاًّ وبغضاً متى انقضى عهد ذلك الهوى

## المرأة في الزمان الماضي

واذا راجعنا التاريخ وجدنا ان جميع عظيمات النساء تقريباً كنّ من ذوات العقل السامي او الادب العالي. وقلما سمعنا بامرأة ارتقت بتهذيب نفسها الى مقام سام في فن او ادب او علم او اشتهرت بوطنيتها او غيرتها على الاصلاح الاجتماعي. بخلاف الرجال فان كثيرين منهم من العصاميين الذين نالوا ما نالوا بعرق جبينهم في الادب او الفن او العلم او الاكتشاف والاختراع. والنساء اللواتي راقبن القدور تغلي على النار اكثر كثيراً من الرجال ولكن لم يقدّر اكتشاف قوة البخار الا لرجل فما تعليل ذلك

يقول مستصغرو النساء في تعليل هذا الامر ان سببهُ كون المرأة اضعف دماغاً من الرجل واقل قابلية لتعليم نفسها. وعندي ان الاصحّ ان يقال ان عقل المرأة اغرب عنها من عقل الرجل وانهُ يحتاج في بادىء الامر الى شيء من الاكراه كنبات ضعيف تحت ستر يقيهِ لوافح الرياح ونوالحها. وعراك المادة المستمرّ وهو ما يشغل معظم حياة المرأة التي قدر لها العمل انما هو عراك يقضي على ارتقائها. فقد يحلم الرجل احلاماً طوالاً عراضاً وهو خلف عرائهِ ولكن المراة لا تحلم احلاماً ولا ترى رؤى وهي تطبخ اللحم في مطبخها او تنشر الغسيل على حبلها

وبعبارة اخرى ان عقل المراة يزكو في جوّ التهذيب. وعليهِ فان اقدر النساء على ترقية مداركهنّ هنّ اللواتي تمرسن منذ الصغر بكلّ ما هو فائق في الفنون والآداب. وبناء على ذلك نجحت النساء ايما نجاح كملكات

وربّ معترض يقول ولكن النساء نجحن ملكات لانهن كن آلات في ايدي الرجال. والملوك الذين لم ينجحوا في ملكهم كانوا آلات في ايدي النساء. ويردّ على هذا الاعتراض بامرين :

(الاول) ان الممالك التي لم تكن ملكاتها على خلق عظيم لم تنجح. فان عهد كاترينا الروسية وعهد اليصابات الانكليزية كانا من امجد العهود في تاريخ روسيا وانكلترا وكانت الملكتان على اعظم جانب من الذكاء والتهذيب في حين ان الملكة حنة الانكليزية وقد كانت فطرية صرفة لم تنجح في ملكها حتىّ ضرب المثل بضعف ذلك الملك

(الثاني) السبب في كون البلدان التي ملكها ملوك كانوا آلات في ايدي النساء لم تنجح هو ان هؤلاء الملوك اخطأوا في اختيار هؤلاء النساء. ويقال اجمالاً ان الرجال الذين اختارتهم الملكات للتأثير فيهن كانوا وزراءهن. والنساء اللواتي اختارهم الملوك كانوا خليلاتهم. ولم تنكب البلاد بسوء حيث احسنت الملكات اختيار اخلائهن كما فعلت الملكة اليصابات الانكليزية. وحيث احسن الملوك اختيار خليلاتهم كما فعل هنري الثاني وهنري الرابع ولويس الرابع عشر من ملوك فرنسا فان عهودهم من امجد العهود في تاريخها. اما حيث اساء الملوك اختيار هؤلاء الخليلات كما فعل ملوك انكلترا فقد عاد ذلك بالضرر على البلاد. وقد كان تاريخ فرنسا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من امجد تاريخها وفيه كانت السيادة للنساء مثل حنة دي بريتان حامية الشعراء والمصورين وكاترين دي مديسي

والسبب الاعظم في سيادة المرأة حينئذٍ كما ارى هو انها لم تحاول منافسة الرجل بل خطت في السبيل المرسوم لها بحكم الطبيعة وتناولت الامور التي عرفت انها ستفوق فيها. فقد عرفت ان دماغها مثل دماغ الرجل من حيث اكتساب المعرفة فتدرعت بدرع التهذيب السامي ولم تنسَ في الوقت نفسه استخدام اقوى سلاح في يدها وهو معرفة الوظيفة التي وجدت المرأة لها. ومعرفتها هذه هي التي حالت دون ظهورها بمظهر السماجة على علمها الكثير. فقد عرفت كيف تجمع بين العلم والسحر الحلال المأثور عنها وكيف تصف اجفى الحوادث التي تراها برقة تخلب القلوب بها وتقربها من الافهام كانها رواية بديعة. وفوق ذلك كله خصت بخلتين عجيبتين هما قوة التنظيم وقوة الاطام. وكان اعظم عمل عملته الهامها للرجال فتيمة ما صنعته للعالمين لا تقاس بمقياس مادي منظور بل بمقياس معنوي غير منظور

وقد كانت المرأة مصدر وحي لكل رجل عظيم تقريباً. وحضارة كل بلاد تقاس بما للمرأة من التأثير في نظامها الاجتماعي لا في صورة الكياسة الظاهرية فقط بل في دائرة الاماني العقلية والمطامح الروحية ايضاً. هذه هي الحضارة التي يطلب من النساء تأييدها في ازمة العالم الحاضرة. فان مطالب المرأة ومطالب الحضارة واحدة